مَقَامَاتُ السَّكَنْدَرِيَّ

الشيخ

أبو محمد أحمد شحاته السكندرى

الدعوة السلفية بالإسكندرية

مقـدمة المقامات

***

بسم الله الرحمن الرحيم

عُونَكَ اللهمَّ وتوفيقَـكَ

نحمدك يا ذا الجلال والإكرام . ونستهديك لما فيه صلاح أمة الإسلام . ونسترشدك إلى ما يعصمنا من الفتن والبلايا . ونسألك الإعاذة من الشرور والمصائب والرزايا

، إنَّك أهلُ التقوى والمغفرة . وواهبُ الخيرات في الدُّنيا والآخرة .

وبعــد ...

فهذه مقامات قصار . أنشأتها على وجه الاضطرار . واقتبستها من بعض دلائل الأخبار . وأقمتها إقامة السهم والسنان . وأودعتها خلاصة معارفى عن النَّاس والزَّمان . وقديماً عابوا الزمان بتغير أحوال بنيه . وبخفوت صوت العاقل وعلو صوت السفيه . فقال قائلُهم :

إذا كَانَ الزَّمَانُ زَمَانَ عُـكْلٍ وَتَيْمٍ فالسَّلامُ عَلَى الزَّمَـانِ

زَمَـانٌ صَارَ فِيْه العِـزُّ ذُلاً وَصَـارَ الزُّجُّ قُـدَّامَ السِّنَانِ

وللَّه درُّ الشهابُ الخفاجى . الذى اعتلى من الأدب برجَه العاجى . فقد قابله رفقاء زمانه بكيـدهم . فقال متـأفـفاً من جهلهم ومكرهم :

رأيتُ الدَّهرَ يرفعُ كلَّ وَغْـدٍ ويخفضُ كلَّ ذى شِيْمٍ شَرِيفَهْ

كَمِثْـل البَحْرِ يَغْرَقُ فيه حَىٌّ ولا ينفكُ تطفو فيه جِيــفَهْ

أو الميزانِ يخفضُ كلَّ وافٍ ويرفعُ كلَّ ذى زِنَةٍ خَفِيــفَهْ

وهذا حين الشروع فيما قصدت . وعلى الله الكريم اعتمدت . وبعونه وتوفيقه اعتضدت . والله الموفق لا رب سواه . ولا معبود بحق الإ ايَّاه .

المقامة الأولى

الشكاية بمظاهر الإنحراف عن طرق الهداية

قال إمام المحدثيـن ، أبوعبد اللَّه البخارى ((الجامع الصحيح))(6697،6696) :

حَدَّثـنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاصِلٍ الأَحْدَبِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَـمَانِ قَالَ : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسِرُّونَ ، وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ** ﴾ .

حَدَّثَنَا خَلَّادٌ حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : **« إِنَّمَا كَانَ النِّفَاقُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ »** .

*** *** ***

حدَّثـنى صدقة بنُ قوَّال . وكان لا يكذب قطُّ فى الأقوال . قال : إنَّ قلبى لجريح . فقد انتشر الداءُ القبيح . الذى وردت بشأنه صادقاتُ الأخبار. بأنَّ أهله فى الدرك الأسفل من النَّار . وكثر أشياعُه حتَّى بلغ السيلُ الزُّبى . وتحكموا فى الرقاب والبلاد واستولوا على الوديـان والرُّبَى . ولولا أنى على الحياة حريص . لأمليت من أخبارهم أقاصيص . وهاأنذا أبثك بعض ما عندى من اللأو**لا**ء . عن مضمون هذه القضية الشوهاء . بكلام أخشى لو سمعوه . أهدروا دمى وأهرقوه . فقلت : قل وأنا لك الفدا . مما تخاف من كيد العدا . و**لا** تخشى فى اللَّه لوما . فقد خاب من حمل ظلما . فبُثنى شكواك . واللَّه يرعانى ويرعاك .

فقال : لا حول ولا قوة **إلا** باللَّه الواحد . اشتبه الموحِّد بالملحد الجاحد . وعلت أصوات النفاق وآذت الأسماع . وصارت معارف أهل الإيمان من سقط المتاع . وتسنَّم الذروة من كان فى النفاق ضليعا . فلو قيس به أبى بن سلول لكان وضيعا . ممن يقول بحلِّ أموال نسل القردة والخنازير . ويصحِّح القول بجواز بيع الخمر والخنزير . ويحسن الركوع و السجود والجهر بفرائض الطاعات . ولكن فى غيــر قبلة الصلاة ومساجد الجماعات . فهو أحرُّ من الجمر على الصدور والأفئدة . وأطيش من فراشة أبصرت ناراً موقدة . رقية البهتان والضلال . وقائد جيش الأعور الدجال . يفنى عدد الرمال ونجوم السماء . و**لا** تفنى معائبُه التى عجزعنها العد والإحصاء . فصدارته معرة المديح والفخر . أرخصت ثمن اللؤلؤ والمرجان وأغلت ثمن الحصى والصخر .

ومن يكنْ الغرابُ له دليلا يمرُّ به على جيفِ الطيـورِ

فمن كانت له دعوة مستجابة . فليقل فى ساعة الإجابة . يا رياح اقلعيه . ويا أرض ابلعيه . وأريحى العباد من شروره . واستريحى من زهوه وغروره . وقد ناب عنه من كان من الرياء وافر المحصول . ممن ركل بكلتا رجليه كتب الفروع والأصول . ومزَّق القاموسَ المحيط ومختارَ الصحاح ولسانَ العرب . وحرَّق صبح الأعشى وعيون الأخبار ونهايـــة **الأ**رب . فهو عــدو **الأ**دب والأدباء . وذبابة طمعٍ وأدواء . مفلس من الدين والعقل . وعدو للسمعيات والنقل .

كأنَّـه هامـانُ إلا أنَّـه يـبنى صروحَ الجهلِ والفحشاءِ

فمن سمعه فليتعوذ باللَّه من الخبث والخبائث . وليستعن باللَّه على طارقات الحوادث .

وتولى بقية المناصب من قال بتناسخ الأديان . وأجاز التعبد بأعراف الدبلوماسية وقرارات حقوق الإنسان . وجهر بتفضيل أرسطو وافلاطون على البصرى والنخعى . ونادى بإحياء تراث هولاكو ونابليون وإبطال فقه مالك والشافعى . وعلت الأوباشُ المنابر والكراسى . واستوى الأعمى والبصيرُ والذاكرُ والناسى . وكان الامتحانُ من جامع البيان والنسفى ومراقى السعود . فصار من أناجيل النصارى وتلمود اليهود . وكُذب القائلون أنَّ الصدق فضيلة . وقيل لابد من النفاق لتولى المناصب الجليلة . ونسى الجميعُ حقَّ اللَّه وعظَّموا شأن القوت . وصارت بطونُهم أوسع من بطن الحوت . ونبذوا فقه مالكٍ وأحمد والشافعى وأبي حنيفة . فهؤلاء موتى فكيف ينتفع الحىُّ بجيفة ! .

واعتقدوا أنهم العباقرة فى تقدير أنفسهم والحسبان . وكل من عداهم فكمٌ مهملٌ فى زوايا النسيان .
وأعوروا عيــون أهل الحل والعقد . ونطقوا بتوقيـر البخل وأبطلوا زكاة النقد . وتلوْا آياتِ القرآن بالتبديل . وحرفوه عن مواضعه فى محكم التنزيل . ومالوا بدلائله وبراهينه إلى مسالك مسدودة . وشروه بثمن بخسٍ دراهم معدودة .
وصار التشبه بأهل الإلحاد قصداً مقصودا . والانحراف عَن طرائق الإرشاد نهجاً مورودا . وأمسى التزلف لحضارة الغرب واجبا . وأضحى لأجل ذلك وجه الإيمان شاحبا . واستنصر المتفيهقون بكل ملعونٍ وطريد . واستفتحوا وخاب كلُّ جبارٍ عنيد . وباعوا فى سوقٍ قد خلت إلا منهم القطران فى صورة العنبر . وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر .
ويحكم ! ماذا تبغون . وبأى نقدٍ دين اللَّه تبيعون . أتجحدون ميثاق اللَّه . أم تريدون أن تطفئوا نور اللَّه . فاللَّه متمُّ نورِه ولورغمت الأنـوف . ومتبِّرٌ ما أنتم فيه ولو عظُمت الزيوف .

هل تطمسون من السماء نجومها بأكـفكم أو تسـترون هلالَها
أو تجـحدون مقالــةً من ربكم جبـريل بلَّغها النـبىَّ فـقالَها
حـفظ الأوائـل للشريعة قدرها وأتيــتـُمُ فأردتـُمُ إبـطالَها
تـباً لهاتـيك الأيادى الجائـرة قـطع الإلهُ يـمينَها وشـمالَها

والعجب من أهل الإيمان كيف يسمعون لمن نهى منهم وزجر . وعندنا فى الكتاب من أنباءهم مزدجر . فسورة البقرة قد هتكت الحجاب عن خفايا قلوبهم وما يضمرون . ﴿ فى قـلوبهم مرض فزادهم اللَّه مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ . وبـراءة حذَّرت من الوقـوع فى شباك الفتنة التى نصبوها للمؤمنين . ﴿ ويحلفون باللَّه ليرضوكم واللَّه ورسوله أحقّ أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴾ . وسورة المنافقون شهدت على كذبهم وصرَّحت بإفكهم وما يصنعون . ﴿ هم العدو فاحذرهم قاتلهم اللَّه أنى يؤفكون ﴾ .
فيـا أهلَ الإيمان ! قابلوهم بما يُـتـلى عليكم فى آياتِ الكتاب . ﴿ ذلك بأنهم شـاقوا اللَّه ورسوله ومن يشاقق اللَّه ورسوله فإن اللَّه شديد العقاب ﴾ . وإذا لقيتموهم فتعوذوا منهم بخواتـيم القرآن . فإنهم أبعد الخلق عن بنى البشر وأقربـهم شـبهاً بالشياطيـن والجان .
وقد أجاد الشهابُ الخفاجى . الذى اعتلى من الأدب برجَه العاجى . فقد قابله أشباهُ هؤلاء بكيـدهم . فقال متـأفـفاً من جهلهم ومكرهم :

رأيتُ الدَّهرَ يرفعُ كلَّ وَغْـدٍ ويخفضُ كلَّ ذى شِيْمٍ شَرِيفَةْ
كَمِثْـل البَحْرِ يَغْرَقُ فيه حَىٌّ ولا ينفكُ تطفو فيه جِيــفَةْ
أو الميزانِ يخفضُ كلَّ وافٍ ويرفعُ كلَّ ذى زِنَةٍ خَفِيــفَةْ

فالحمد للَّه الذى جعل الدنـيا الخافضة الرافعة للسفل الأنـذال . لا تستـقر على حالٍ فتـسلم من الفناء والزوال . فمثـل قوله أقـول . ولى فى ساحة العذر فضـول . والسلام على من اتَّبـع الهدى . فمن جانب أمثـال هؤلاء اهتدى .
ولما فـرغ الراوى من الإدلاء بشكايـته . قال قد بثـثتُكَ بعض ما عندى من الداء وعلـته . وقد أجزتـك أن تروى عنى كلَّ ذلك . وأن تبلِّغه أهل الإيـمان كذلك . على ألا تـنسبها إلىَّ بوصفٍ ولا تسـميَّـة . فلى ولك مندوحة فى

التوريَّـة . فقد سرَّنى أن أكون مـجهولا . كما سرَّ المنافق أن يكون مشهورا . وادع لى ألا يحرمنى اللّه من واسع عفوه وسابغه . وألا يجعلنى كباسط كفيه إلى الماء ليـبلغ فاه وما هو ببالغه . فقلت : سمعاً لك وطـاعة . وقانى اللّه وإيَّـاك أشراط السَّـاعة . فقد مضت أكثرُها منذ أزمانٍ ونحن بانتظار الطارق . كالدابـة والدجال وطلوع الشمس من المشارق . ورزقنى وإيَّـاك البصيرة النـاقدة . وصرف عنا أذى العيون الحاسدة . وبصَّرنا سبل المهتديـن . ودفع عنا كيــد المفسدين . ممن ينسب إلى علمٍ لا ينفع . ويحمل بين ضلوعه قلباً لا يخشع . ويتيمم بغسالة نعل السلطان ويزعم أنَّه الماء الطهور . ويطوف بالقبور ويقبل الأعتاب ويعتـقد أنهما كالمقام والبيت المعمور . إنَّه مجيب الدعاء . واسع الفضل والعطاء .

تمت المقامة المسـمَّاة بـ **تـلقيح الفـهوم بمساوئ علـماء الرسـوم**

أو **الشـكاية بمـظاهر إنـحراف علـماء الوقـت عن طـرق الهداية**

المقامة الثانية

احذر دعاة الضلالة .. لا يقذفوك فى جهنـم

قـال إمام المحدثين أبو عبد الله البخارى فى بـاب : كيف الأمر إذا لم تـكن جماعة من ((كتاب الفتن)) :

حدثنا محمد بن المثنى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة ابن اليمان يقول : **كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، وَفِيـهِ دَخَنٌ ، قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ ، قَالَ : قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ ، قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّـمَ ، مَنْ أَجَابَــهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ : هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا ، قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ ، قَالَ : تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ ؟ ، قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِـرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ** .

* * * * *

دعى داعٍ . وسعى ساعٍ . لا أنجح الله مساعيه . ولا أقرَّ عينَه ببلوغ أمانـيه . إذ قـام على باب جهنم داعياً إلى الضلالة والردى . ويزعم أنه قد رزق التوفيق واهتدى . فما قام ليدعو إلى المنهج القويم . ولكن ليصرف الوجوه عن الصراط المستقيم . وسيعلم الناعق حين ينكشف الغطاء . أن دعوته كانت

سراباً بقيعةٍ يحسبه الظمآنُ ماء . ولولا أنه قد خلا له الجو . ما كان بمسموع الصوت بأرضٍ ولا جوّ .

يـا لـكِ من قُبَّـرةٍ بمعـمرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضى واصفرى
ونقِّرى ما شئـتِ أن تنـقِّرى قـد رُفـع الفـخُّ فماذا تحذُرى
لا بد يوماً أن تُصَادى فاصبرى !

وأظنك أيها الداعي الغبى . الذى يظن أنه الأصمعى . قد غرَّك رهطٌ احتفوا بـك فى مجلسك . وألقوْا السمع إلى هَوَسِك . يصدقونك فى كل هَذَر . ويصوبونك فى كل ما تأتى وتـذرّ . ويطئون عَقِبَك فى المسير . ويأتمرون بأمرك فى الجليل والحقير . ويعظِّمونك فى الخطاب . ويمثِّلونك بذوى الألباب . ويلقِّبونك بالإمام اللوذعى . ويرفعونك فوق رتبة الشافعى . وأظنك لم تقارع الأبطال اللهاميم . ولم يدفع بك إلى فارسٍ يعركك عَرْك الأديم . فظننت لجدك العاثر بنفسك الظنون . ورسخ فى دماغك هذا الجنون . ولم تُرزق لشئوم حظِّك ناصحاً رحيماً . ولا مرشداً بأدواء النفوس عليماً . يصرفك عن هواك وعصبيتك . ويحثُّك على التوبة من خطيئتك . ويرشدك إلى المناهج السويَّة . ويلحقك بذوى الآداب المرعيَّة . ويوقظك من غَفَلاتك ويقول :

أراك على شفا خطرٍ مهولِ بما آذيت راسَكَ من فُضولِ

ألم تعلم أنه فيما حولك فحولٌ ولكنهم صامتون . ونحاريرُ علمٍ ولكنهم متواضعون . لا يُشقُّ لهم غُبَار . ولا يُجرى معهم فى مِضْمَار . فإنْ كنت رأيت نفسك فوق الكلّ . فما أشبهك بضلِّ ابن ضل . أنفٌ فى السماء وإستٌ فى الماء . فلا يغْررُك ما أقامك أشياعُك فيه . فإنَّ قدركَ لا يخفى على العاقلِ النبيه .

ألم تعلم أن من لم يأمن مع الدَّعْدَعة سُرعة العِثـار . ويحتاج إلى مصباحٍ يهديه فى ضوء النهار . أنَّه إذا سابق فى المضمار العِتَاق الجياد . وناضل عند الرِّهَان ذوى البأس الشداد . فقد جعل نفسه سخرةً للساخرين . وأضحوكةً للضاحكين وغرضاً للسهام . وكرةً بين الأقدام .

فأقبلْ منِّى النصيحة . واتقِ الخزى والفضيحة . ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ . لا من كان ضبَّ العشيَّات وحِرْباء الظَّهائر . ولا يُستفتى من ركب بحرَ الأهوال . حتى وصل إلى ساحل الضلال . ولا من أمعن السير فى التِّيه حتى لم يجد للهداية طرقـا . فإن المُنْبَـتَ لا طريقاً قطـع ولا ظهراً أبقى . ولا من تأبط كتـباً أفطر عليها الجُرْذان . وافتخر بحيازته إيَّـاها ونادى وأسمع الآذان :

هى كتبى فليس تصلُحُ من بعدى لغير العطَّارِ والإسكافى
هى إمَّـا مـزاودُ للعقاقيرِ وإمَّـا بـطائــنُ لَلخِـفافِ

فلله درُّ القائل . حزناً على الكرام الأوائل :

خلتْ الدِّيارُ فلا كريمٌ يُرتجَى منه النوالُ ولا مليـحٌ يعشقُ
ومن العجائب أنَّه لا يُشترى ويُخانُ فيه مع الكساد ويُسرقُ

فإن لم يكن عندك شئٌ من خبرك . فلأمرٍ ما تلطَّف العارفون فى أمرك . فقد جال فيـك الصِّدقُ جولةً فأرْدَاك . ولو كانت منه جولاتٌ لأسلمك إلى مثواك . وأنبأنا أن الدين عُـدل به عن نبلاء المحسنين . إلى الدخلاء الأمِّيين . ﴿ الذين لايعلمون الكتاب إلا أمانى ﴾ . ولايُدركون بأفهامهم إلا المَرئى . فحديثهم ملئٌ بالعجز والتشغيب . والحيدة عن القياس المصيب .

فلا تكن كمن أسلمته ملائكةُ الموت إلى منكرٍ ونكير . وهما أديَّا أمانتَهما إلى مالكٍ خازنِ السعير . ولا تلقى بيدك إلى التهلكة والفساد . واسمع نصيحتى ولا تتمادى فى العناد . فإن عدت إلى رشدك فأنا لك صديق . وقانا الله وأهل الإسلام مزالق الطريق .

تمت المقامة المسـمَّاة بـ **احذر دعاة الضلالة .. لا يقذفوك فى جهنم** .